بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

((العِلْمُ زَينٌ لأَهْلِهِ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة))

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، رَافِعِ العِلْمِ وَالعَالِمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، بَثَّ آيَاتِهِ فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ آيَاتٍ لِلْمُتَفَكِّرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، قُدْوَةُ المُتَعَلِّمِينَ وَالمُعَلِّمِينَ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ المُهْتَدِينَ العَامِلِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –؛ فَإِنَّ التَّقْوَى وِعَاءُ العِلْمِ النَّافِعِ، وَالسَّبِيلُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ جَامِعٍ، فَاسْمَعُوا قَوْلَ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

أَلا هَنِيئًا لَكُمْ عَوْدُ أَوْلادِكُمْ إِلَى رِيَاضِ العِلْمِ يَتَفَيَّؤُونَ ظِلالَهَا، وَيَقْطِفُونَ ثِمَارَهَا، وَإِنَّ مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي تَفْتَحُ لِلإِنْسَانِ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ طَلَبَ العِلْمِ؛ فَمِنْ بِشَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ))، وَمَاذَا بَعْدَ هَذِهِ البِشَارَةِ إِلاَّ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى هَذَا الخَيْرِ الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ كُلُّ أَحَدٍ! فَهَذَا الخَيْرُ لا يَعْرِفُ صَغِيرًا وَلا كَبِيرًا، وَلا غَنِيًّا وَلا فَقِيرًا؛ لأَنَّ طَلَبَ العِلْمِ لا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ وَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ، وَمَا أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَزِيدَ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ مِنَ العِلْمِ؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ سَائِلًا رَبَّهُ: ﴿ رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾[٢]، وَمَنْ شَاءَ رَفْعَ دَرَجَاتِهِ وَتَكْثِيرَ حَسَنَاتِهِ فَعَلَيْهِ بِالعِلْمِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَرْفَعُ دَرَجَاتِ الإِنْسَانِ عِنْدَ اللهِ كَطَلَبِ العِلْمِ للهِ، وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[٣].

وَهَلْ يَنْتَفِعُ بِآيَاتِ اللهِ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ – إِلاَّ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ! وَهَلْ يَتَذَكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ!

(١) سورة البقرة/ ٢٨٢.
(٢) سورة طه/ ١١٤.
(٣) سورة المجادلة/ ١١.

وَهَلْ يَسْتَبِينُ الآيَاتِ إلاَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ! أَلَمْ يَقُلْ لَنَا اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1]، أَلَمْ يَقُلْ لَنَا اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[2]، أَلَمْ يَقُلْ لَنَا اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾[3]، وَما مِنْ جَمَالٍ – عِبَادَ اللهِ – يَكْسُوهُ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ أَعْظَمَ مِنَ العِلْمِ؛ فَإِنَّ العِلْمَ هُوَ الجَمَالُ، هُوَ الجَمَالُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((وَالعِلْمُ زَيْنٌ لأَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)).

ولله ذَلِكَ الفَضْلُ العَظِيمُ – أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ – لِمَنْ يُعَلِّمُ الخَيْرَ! وَحَسْبُ مُعَلِّمِي الخَيْرِ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِالرِّسَالَةِ الَّتِي بَعَثَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ؛ فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا))، فَأَيُّ شَرَفٍ أَعْظَمُ مِنْ حَمْلِ الرِّسَالَةِ الَّتِي حَمَلَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ! وَأَيُّ مَقَامٍ أَعْلَى مِنْ هَذَا المَقَامِ! وَإِذَا كَانَتِ المَلائِكَةُ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا لِمَا يَطْلُبُ، فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ، وَإِنَّ لَكَ – أَيُّهَا المُعَلِّمُ وَأَيَّتُهَا المُعَلِّمَةُ – أُسْوَةً حَسَنَةً فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ خَيْرُ مُعَلِّمٍ وَخَيْرُ مُرَبٍّ، وَقَدْ قَالَ أَحَدُ صَحَابَتِهِ الكِرَامِ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ الزَّاخِرِ: "بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ"، ثُمَّ يَذْكُرُ لَنَا ذَلِكَ الصَّحَابِيُّ رِفْقَ النَّبِيِّ ﷺ وَحُسْنَ خُلُقِهِ مَعَ مَنْ يُعَلِّمُهُ، فَيَقُولُ: "فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي"، وَمَعْنَى قَولِهِ "مَا كَهَرَنِي": ما عَبَسَ في وَجْهي.

إِذَنْ كَيْفَ كَانَ يَلْقَى النَّبِيُّ ﷺ طُلّابَهُ – عِبَادَ اللهِ –؟ يُخْبِرُنَا أَحَدُ تَلامِيذِهِ عَنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ: "مَا لَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي"، فَلْيَعْلَمِ المُعَلِّمُونَ وَالمُعَلِّمَاتُ أَنَّ العَيْنَ أَسْبَقُ مِنَ الأُذُنِ؛ فَمَا أَسْرَعَ عَمَلَ الإِنْسَانِ بِمَا تَرَاهُ عَيْنُهُ! وَلِذَلِكَ لَزِمَ المُعَلِّمِينَ وَالمُعَلِّمَاتِ أَنْ يُرَاقِبُوا سُلُوكَهُمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ دَاخِلَ المَدْرَسَةِ وَخَارِجَهَا؛ فَإِنَّ الطَّالِبَ يَقْتَدِي بِمُعَلِّمِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَالطَّالِبَةَ تَقْتَدِي بِمُعَلِّمَتِهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهَا، وَذُكِرَ عَنْ إِحْدَى الصَّالِحَاتِ أَنَّهَا أَلْبَسَتِ ابْنَهَا خَيْرَ ثِيَابِهِ، ثُمَّ قَرَّبَتْهُ مِنْهَا وَقَالَتْ لَهُ: يَا بُنَيَّ، اذْهَبْ إِلَى مَجْلِسِ فُلانٍ، وَخُذْ مِنْ أَدَبِهِ وَوَقَارِهِ وَحِشْمَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ عِلْمِهِ.

(١) سورة الرعد/ ٤ .
(٢) سورة البقرة/ ٢٦٩ .
(٣) سورة العنكبوت/ ٤٩.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَلْتَعْلَمُوا أَنَّ أَكْبَرَ سَبِيلٍ إلى نَجَاحِ التَّعَلُّمِ هُوَ التَّعَاوُنُ بَيْنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ، وَبَيْنَ المُعَلِّمِينَ وَالمُعَلِّمَاتِ، وَإِنَّ ذَلِكَ النَّجَاحَ يَبْدَأُ مِنْ إِعْطَاءِ العِلْمِ حَقَّ قَدْرِهِ، وَمِنْ تَنْشِئَةِ الأَبْنَاءِ وَالبَنَاتِ عَلَى التَّوَاضُعِ لِلْعِلْمِ وَلِمَنْ يُعَلِّمُ العِلْمَ، وَمِنْ تَذْكِيرِ الطَّلَبَةِ وَالطَّالِبَاتِ أَنَّ أَسْهَلَ الطُّرُقِ إِلَى الجَنَّةِ طَلَبُ العِلْمِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ دَرْسٌ أَبْلَغُ مِنْ دَرْسِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ؛ فَانْظُرُوا كَيْفَ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ أَمَرَهُ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِلْعِلْمِ فَقَالَ لَهُ: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[1]، ثُمَّ إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ يُرْشِدُهُ إِلَى أَدَاةِ العِلْمِ اللاّزِمَةِ فَيَقُولُ لَهُ: ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[2]، فَإِنَّ أَدَاةَ العِلْمِ اللاّزِمَةَ الاسْتِمَاعُ، وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الحِكْمَةِ: "مَنْ كَثُرَ اسْتِمَاعُهُ كَثُرَ عِلْمُهُ وَانْتِقَاعُهُ"، وَالإِنْسَانُ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْ أَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ أَوْ مُتَعَلِّمٍ أَوْ مُسْتَمِعٍ أَوْ مُحِبٍّ لِلْعِلْمِ، وَفِي الأَثَرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((اُغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا، وَلا تَكُنِ الخَامِسَ فَتَهْلِكَ)).

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة طه/ ١٢.
(٢) سورة طه/ ١٣.
(٣) سورة الأحزاب/ ٥٦.

وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.